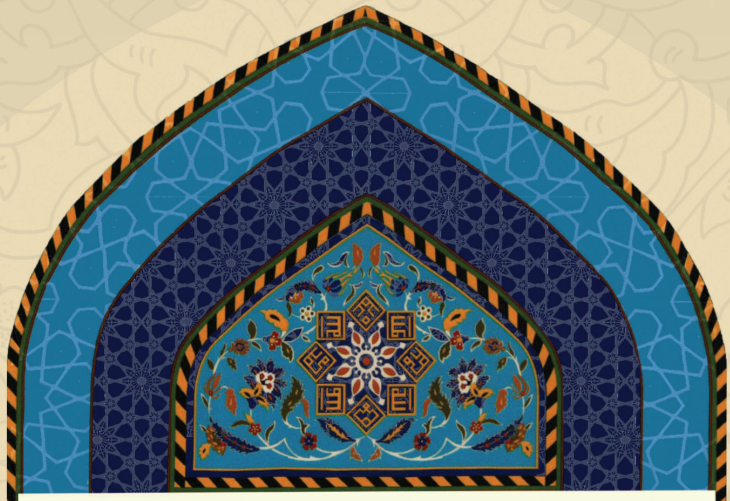

الإحالة

في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض

The referral in the letter of Imam Ali Al-Hadi (PBUH) responding to the predestination and free will advocates

م.د. داخل دمان ساهي

مديرية تربية بابل

Lect.Dr: Dakhil Daman Sahi

Babylon Directorate of Education

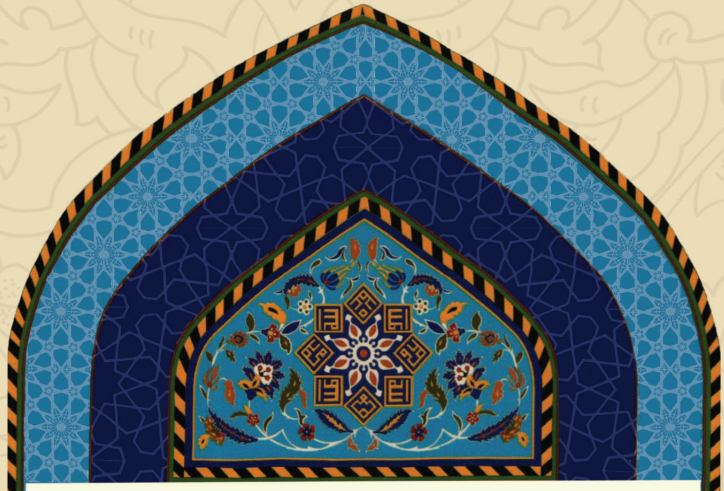

الإحالة
في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض

الملخص:

يقوم البحث على دراسة المفهوم، والأقسام، والوسائل في رسالة الإمام عليّ الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض، وبيان كيفية إسهام الإحالة في اتساق النص وترابط أجزائه، وأثرها في تكثيف النص وإيجاز جمله، وتحليل أثرها على المعنى المراد إيصاله إلى ذهن المتلقي. وقد جاء البحث بتمهيد ومحورين، وتطرقت في التمهيد إلى مفهوم الإحالة وأقسامها ووسائلها، وفي المحور الأول تكلمنا عن الإحالة المقامية، وقد خصص المحور الثاني لدراسة الإحالة النصية.

الكلمات المفتاحية:

الإحالة، الإمام الهادي عليه السلام، التفويض، الجبر.

The referral in the letter of Imam Ali Al-Hadi (PBUH) responding to the predestination and free will advocates

Abstract:

The study depends on studying the concept, types, and means of referral in the letter of Imam Ali Al-Hadi (PBUH) responding to the advocates of predestination and determinism. The aim is to show how referral contributes to the text coherence and the cohesion of its parts, its impact on intensifying the text and summarizing its sentences. Moreover, it analyzes its effect on the intended meaning to be received by the recipient's mind. The study includes an introduction and two sections; the introduction addresses the concept of referral, its types and means. In the first section, situational referral is discussed, while the second section is devoted to study textual referral.

key words:

Referral, Imam Ali Al-Haid (PBUH), predestination, and determinism.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

مقدمة:

رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض درس حجاجي بليغ، أورد فيه وسائل وآليات حجاجية كثيرة، مستعيناً بالقرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله، وأقوال آل البيت عليهم السلام، وجاء عليه السلام فيها بأمثلة وشواهد لإثبات حجته وإقامة الدليل عليها. وبعد أن أثبت أنّ القرآن الكريم وآل البيت عليهم السلام هم الحجة عند اختلاف المسلمين، وأقام الدليل على ذلك بآيات القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله؛ شرع في الغرض الأساس للرسالة مبتدئاً بما ورد عن جده الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ثم أكد (سلام الله عليه) أن أقوال الرسول صلى الله عليه وآله، وسائر أئمة آل البيت موافقة لما جاء به القرآن الكريم. ومن أجل إثبات حجته عليه السلام بأن أقوال الرسول وآل بيته عليهم السلام لا تخرج في مضمونها عمّا جاء به القرآن الكريم، استشهد بآيات الذكر المبين أكثر من خمسين مرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على القائلين بالجبر والتفويض، مذكورة في مصادر ومراجع عدة ليس آخرها كتاب (مكاتيب الأئمة) للميانجي، وقد اعتمد البحث على الرسالة المذكورة في كتاب (تحف العقول عن آل الرسول) لأبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، وهو من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت، الطبعة السابعة، عام ٢٠٠٢م.

تمهيد: الإحالة: المفهوم والأقسام والوسائل

تجاوز الدرس اللساني الحديث مستوى الجملة التي توقّفَ عندها التحليل اللساني زمناً طويلاً، لينتقل ذلك التحليل إلى فضاء أرحب، هو فضاء النص؛ إذ صارت الدراسات الحديثة تبحث في اتساق النص وانسجامه عن طريق علم(لسانيات النص) الذي ظهر في أواخر ستينيات القرن العشرين، فصار النص يُدرس على أنه وحدة واحدة، ويُحلل على هذا الأساس، «**فالنص الواحد تحكمه علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه وترابط أجزائه**»[١].

وتعد الإحالة (reference) – ويترجمها بعضهم إلى العربية بـ(الإشارة)– من أهم الوسائل التي يتحقق بها الاتساق

(١) حماسة، محمد، الابداع الموازي التحليل النصي للشعر، ص٣٦.

مجلة تراث شاهراه
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

النصي في الدرس اللساني الحديث «**وتتوفر كل لغة على عناصر تمتلك خاصية الإحالة بالمعنى الذي نخصصه لهذا المصطلح، أي إنها لا تكتفي بذاتها في تأويلها دلالياً، بل تحيل على شيء آخر من أجل تأويلها**»[١] وتتمثل هذه العناصر، أو الوسائل بحسب رقية حسن، وهاليداي بكتابهما (Cohesion in English) بالضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة.

والإحالة من الموضوعات التي تتكرر دراستها في اللسانيات النصية، ويعد كتاب (Cohesion in English) من أهم مصادر دراستها، إذ تكثر الإشارة إليه في تلك الدراسات ولاسيما العربية منها، أي أنه ينال اهتمام أغلب الباحثين في هذا المجال، ولكنه لم يحظ بالترجمة إلى العربية -على حد علمي- على الرغم من أنه الأشمل في هذا المجال منذ صدوره الأول عام ١٩٧٦م.

أولاً: مفهوم الإحالة

الإحالة: علاقة بين النص والمتلقي، أو هي «**علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إن في الواقع، أو في المتخيل، أو في خطاب سابق/ لاحق**»[٢]، ويقول جون لاينز: «**إن العلاقة التي تربط بين الكلمات، والأشياء هي علاقة إشارة [إحالة]: الكلمات تشير إلى الأشياء - بدلاً من القول إنها ترمز إلى الأشياء، أو تسميها-.**»[٣]، فالكلمة مكتوبة كانت أم منطوقة لا ترمز، بل تحيل على مفهوم من خلال سياق وترتبط بما قبلها، أو بما بعدها، يحيل إليها، أو تحيل إليه فكلمة (يمين)، على سبيل المثال، قد تعني القَسَم أو تعني الاتجاه، ويُحدد ذلك من خلال المفهوم الذي يتكون في ذهن الناطقين بالعربية، ومن خلال سياق النص واتساقه، ومن خلال الترابط بين قصد (المتكلم/ الناص) وفهم (المتلقي)، فقصد المتكلم هو المعيار الرئيس للإحالة، وهو وظيفة على (المتلقي) الوصول إليها من خلال تأويله لقول (المتكلم/ الناص)، أي إنَّ المتكلم «**هو الذي يحيل باستعماله لتعبير**

(1) Cohesion in English: p31.

(٢) المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص٧٣.

(٣) لاينز، جون، علم الدلالة، ص١٥.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

مناسب؛ أي إنه يحمّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية الإحالة»[١].

الإحالة تكون بين عبارات في النص، وهذه العبارات بينها نوع من المشتركات يحيط بها عالم النص سواء كانت مترابطة في داخل النص أم مع ما هو خارجه.

ويجب في الاحالة التزام قيدٍ دلاليّ بما يضمن تطابق الخصائص الدلالية ويوازن بين عنصري الاحالة وهي: العنصر المحيل، والعنصر المحال إليه[٢].

ويرى "الازهر الزنّاد" في الإحالة أنها «**ظاهرة تقع في أساس كل منظومة فكرية، فاللغة نفسها نظام إحالي، إذ يحيل على ما هو غير اللغة**»[٣]. وبصورة عامة، فمفهوم الإحالة «**لايخرج عن تلك العلاقة التي تربط أجزاء النص سابقها ولاحقها، بعيدها وقريبها مع الالتزام بالقيد الدلالي أي المطابقة بين السابق واللاحق بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني**»[٤].

والإحالة علاقة بين ألفاظ لغوية تحتاج إلى ما يفسرها وبين ما تحيل، أو تشير إليه من أشياء، أو معان قد تكون داخل النص، أو خارجه، إذ «**تُطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تمتلك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص. وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام اخر**»[٥]. وهذه العناصر تعطي معناها في ذهن المتلقي وما فهمه من قصد المتكلم أو الكاتب، فهي منقوصة الدلالة، تعتمد في دلالتها على ما تحيل عليه، وهذه العناصر تتكون من (الضمائر، وأسماء الإشارة، والموصولات، وأدوات المقارنة).

ومما تقدم نجد أن الإحالة تستند إلى أربعة أركان هي :

١- **المُحال**: وهو ما يحتاج إلى تأويل،

(١) براون، ج.ب، بول، تحليل الخطاب، ص٣٦.

(٢) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٧ .

(٣) ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص١١٥.

(٤) ابن قري، جمالية الاحالة وآلياتها في تحقيق تماسك النص واتساقه- مقاربة تطبيقية لنماذج مختارة، ص١٦٧.

(٥) ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص١١٨.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

وهو ما يشير إليه المحال إليه، وهو «**كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره وهو يمثل أبسط عنصر في البنية الاحالية**»،[١] ويكون المحال دائمًا داخل النص سواء أكانت الإحالة داخلية أم خارجية.

٢- **المحال عليه**: وهو ما يؤول إليه الكلام أو النص، ويشير إليه المُحال، وقد يكون سابقاً للمُحال أو لاحقاً به، وقد يكون كذلك داخل النص أو خارجه.

٣- **الناص أو المتكلم (مبدع النص)**: وهو من يقوم ببث النص وتشكيل الإحالات.

٤- **المتلقي**: هو المستقبِل للنص وهو من يقوم بتأويل الإحالات، وتحديد قيمة النص ومعناه.

ثانياً: عناصر الإحالة :

١- **الضمائر والأسماء الموصولة**: هي ألفاظ تحتاج دائماً إلى مفسِّر «**فالإبهام والانتقال والتعريف أهم خصائص الضمير، ويرتبط بالإبهام عدم الوضوح ونقصان الدلالة، والافتقار إلى موضِّح أو مفسر**»،[٢] وتنقسم الضمائر على وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هي، هم، والى ضمائر ملكية مثل: قلمي، قلمك، قلمه، قلمنا، ومن جهة الإحالة فجميع الضمائر الدالة على متكلم أو مخاطب تُحيل المتلقي على ما يكون خارج النص في حين تحيل ضمائر الغيبة على داخل النص[٣]، ويُعد ما يسميه النحاة "اسماً موصولا" ضميراً كباقي الضمائر سواء أكانت من زمرة "الذي" أم من زمرة "مَن، وما" ويشكل الموصول مع جملة الصلة مكوناً واحداً، والدليل هو عدم وروده من دون جملة الصلة، لأنه يفتقر افتقاراً لازماً لتلك الجملة ولا يبين معناه إلّا معها.[٤]

٢- **أسماء الإشارة**: لأسماء الإشارة أثر بالغ في عملية الإحالة والربط القبلي والبعدي، ويتميز اسم الإشارة المفرد بما يسمى (الإحالة الموسّعة) أي إمكانية الإحالة على جملة بأكملها، أو متتالية من الجمل[٥].

---

(١) ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص١٣١-١٣٢.

(٢) بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص١١٢ .

(٣) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى لغة الخطاب، ص١٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١١٦.

(٥) ينظر :خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

٣- **المقارنة:** وهي إحدى وسائل الإحالة وتسهم في اتساق النص، وتشمل الألفاظ التي تحيل على التطابق نحو (الشيء نفسه، أو بعينه، أو يطابقه)، أو التي تحيل على التشابه نحو (يشبه، أو يماثل، أو يقارب)، أو التي تحيل على الكمية نحو(أكثر، أو أكبر، أو أقل، أو أصغر)، أو تحيل على الكيفية نحو(أجمل من، أو أسوأ من)[١]

ثالثاً: أقسام الإحالة:

تنقسم الإحالة - بحسب رقية حسن وهاليداي- على قسمين كما في الخطاطة أدناه:[٢]

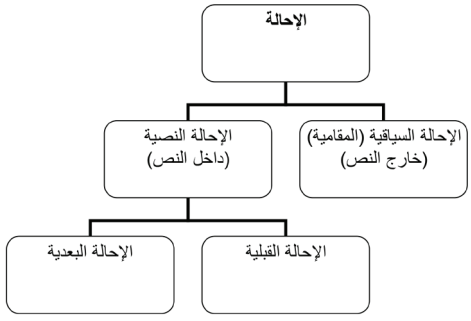

١ـ الإحالة المقامية: وهي إحالة على ما هو خارج النص «وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يربط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم»[٣]، ويعرفها الدكتور أحمد عفيفي بأنها «الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقاً، غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف»،[٤] في حين يعرفها محمد الشّاوش بقوله: «هي الألفاظ التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى الشيء الموجود في الخارج»[٥]. وخير مثال للإحالة المقامية (الإحالة على خارج النص) هو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ. الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[٦] فالمقصود في قوله سبحانه ليس مذكوراً في النص إطلاقاً، وعلى المتلقي أن يبحث عنه خارج النص في كتب المفسرين وفي أسباب النزول، أي إن المحال إليه يستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معه في النص نفسه، أو الخطاب.

إلى لغة الخطاب، ص١٩

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص١٩.

(2) Cohesion in English .p.33

(٣) ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص١١٩.

(٤) ينظر: عفيفي، محمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص١٢١.

(٥) الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص١٢٥.

(٦) سورة الهمزة، الآية ١-٣.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

٢- الإحالة النصية (داخل النص): هي عملية إحالة الضمير، أو الموصول، أو اسم الإشارة على عناصر لغوية واردة في النص الملفوظ، أو المكتوب سابقة كانت أم لاحقة، وتنقسم الإحالة النصية على قسمين[١] هما :

أ - أحالة على سابق (إحالة قبلية): وهي تعود على مفسِّر سبق التلفظ به، وهي أكثر الأنواع دورانا في الكلام ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢] فالضمائر التي وردت بعد لفظ الجلالة تعود عليه سبحانه سواء كانت ظاهرة أم مستترة، وتحيل عليه جلّ وعلا إحالة نصية قبلية.

ب - إحالة على لاحق (إحالة بعدية): وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، من ذلك ضمير الشأن في اللغة العربية، أو الإحالة على نص قرآني، أو قول مشهور، أو حكمة، ومثالها في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾[٣] فالضمير في الآية يعود على لفظ الجلالة المذكور بعده ويحيل عليه إحالة بعدية.

ويقسم الدكتور أحمد عفيفي الإحالة من ناحية المدى الإحالي، ومسافة الفصل بين العنصر المحيل، والعنصر المحال عليه على قسمين[٤]:

١ـ إحالة ذات المدى القريب: وتكون على مستوى الجملة الواحدة إذ تجمع بين العنصر الإحالي ومفسِّره مثل قوله تعالى: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[٥].

٢ـ إحالة ذات المدى البعيد: وتكون بين الجمل المتصلة، أو الجمل المتباعدة في فضاء النص، والإحالة في هذا النوع لا تتم في الجملة الأولى الأصلية مثل قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ

---

(١) ينظر: ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص١١٨-١١٩.

(٢) سورة يونس، الآية ٣.

(٣) سورة الإخلاص، الآية ١ .

(٤) عفيفي، محمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص١٢٠-١٢١.

(٥) سورة طه، الآية ١٢٢.

وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] فالضمير في (نجيناه) يحيل إحالة بعيده على نبي الله ذي النون عليه السلام.

المحور الأول: الإحالة المقامية في رسالة الإمام الهادي عليه السلام

تحيل ضمائر الغيبة (هو، هي، هما، وغيرها) على شيء داخل النص في حين تحيل ضمائر المتكلم والمخاطب على خارج النص، ونجد أنه عليه السلام وفي مقدمة الرسالة قد وضع اسمه الصريح في صدارة الرسالة، كي يرفع اللبس، أو الغموض الذي قد يحيطان بالموضوع، واستعمل ضمائر المتكلم والمخاطب؛ لأنه لم يشرع بعد في موضوع الرسالة وإنما أراد شرح فحوى الرسالة وأسباب إرسالها، فلجأ إلى ضمير المخاطبين مرات عدة (كتابكم، وذكرتم، واختلافكم، ودينكم، وخوضكم، وتفرقكم، وتقاطعكم، وبينكم، ولكم، ورحمكم، وغيرها) وهي كلها تحيل إحالة على خارج النص، وتشير إلى الذين وجه عليه السلام الرسالة إليهم، فضلا عن أنه عليه السلام استعمل ضمير المتكلم في هذا الموضع (عليَّ، فهمتُ، سألتموني، نظرنا، وجدناها، ... الخ) وهي تحيل لشخص المرسِل عليه السلام.

وهناك إحالات مقامية بالاسم الموصول، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله عليه السلام: «**فمن زعم أن الله تعالى فوض أمره، ونهيه إلى عباده، فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر، وأبطل أمر الله ونهيه ووعده ووعيده**»[2] والاسم الموصول هنا يحيل المتلقي على خارج النص سواء أكان المقصود به شخص المخاطب أم الإنسان بصورة عامة، وكل الضمائر المستترة في (أثبت، أوجب، أبطل)، أو واو الجماعة في (عملوا) فإنها تعود على الموصول (مَن)، وبالنتيجة فإنها تحيل على خارج النص. وكذلك الأمر في قوله عليه السلام: «**فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه**»[3]. فالإحالة هنا تربط اللغة بسياق المقام وتجعل المتلقي يشارك في ابداع النص من خلال ربط داخل النص بسياقه الخارجي.

ونجد في قوله عليه السلام: «**فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فوض اختيار**

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٧-٨٨.

(٢) الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الاهواز (الحلقة الثالثة: في التفويض)، مجلة تراث سامراء، العدد الخامس، ص٤٥.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٤٣.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله.»[١] إحالة على خارج النص بالاسم الموصول (مَنْ)، وهناك إحالات كثيرة بهذا الاسم الموصول تضمنتها فقرات الرسالة.

وعلى الرغم من هيمنة استعمال الاسم الموصول (مَنْ) في الرسالة كونه ذا دلالة شاملة ويستعمل للمفرد والمثنى والجمع مذكراً كان المخاطب أم مؤنثاً؛ فهناك إحالات بالموصولات الأخرى استعملها عليه السلام في رسالته، كقوله: «**إن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق**»[٢]، فالاسم (ما) اسم موصول بمعنى الذي، وهو هنا يحيل المتلقي على غير العاقل[٣] خارج النص؛ فما اجتمعت عليه الامة وهو (القرآن الكريم) يقع خارج النص. كذلك قوله عليه السلام: «**فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان**»[٤] فالاسم الموصول (ما) يحيل المتلقي على السياق الخارجي ويساهم في اتساع المعنى إلى ما هو خارج النص.

وقد تأتي الإحالة المقامية بالاسم الموصول (ما) أكثر سعة في التأويل عند المتلقي فهي تأتي موغلة في الإبهام[٥] وهو الأمر الذي يحدو بالمتلقي إلى أن يضع أكثر من تأويل للنص كقوله عليه السلام مستشهداً بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فعلمت أن الله قائم باقٍ، وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل**»[٦]، فالاسم الموصول (ما) جاء ليختصر القول وليعطي سعة كبيرة للمعنى؛ فهو يشير إلى كل الموجودات، إذ كلها دون الله سبحانه وهي زائلة لا محال. وينساق الأمر عينه في قوله عليه السلام: «**قد علم ما يكون منهم قبل كونه**»[٧]، فالاسم الموصول (ما) يعطي دلالة شاملة وإحالة للمتلقي على كل علم الله سبحانه بعمل عباده وهو، بلا شك، مما لا يمكن حصره.

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص١٥-١٦.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٣٧ .

(٣) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ج١، ص١٣٠

(٤) الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الاهواز (الحلقة الثانية: في الجبر) مجلة تراث سامراء، العدد الرابع، ص٣٤.

(٥) ينظر :السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ج١، ص١٣١

(٦) الحراني، تحف العقول، ص٣٤٤

(٧) الحراني، تحف العقول، ص٣٥٠.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

المحور الثاني: الإحالة النصية في رسالة الهادي عليه السلام

تنوعت الإحالة النصية في رسالته عليه السلام لتبدع نصا متماسكا وتحقق الوحدة الإحالية عن طريق المُحيل، والمُحال عليه، وامتدادهما الإحالي، وربطت ما يسبق من أجزاء النص بلاحقها على وفق عمل الضمائر الفاعلة في النص؛ وهي من الكثرة بمكان بحيث يصعب إحصاؤها جميعاً في هذا البحث، لذا فسيكتفي البحث ببعض الأمثلة على كل نوع.

أ ـ الإحالة النصية القبلية (الإحالة على سابق):

وهي الإحالة الأكثر شيوعاً وأثراً في تماسك النص الأدبي، وقد تنوعت في رسالته عليه السلام بين إحالة بالضمير، أو الموصول، أو اسم الإشارة، فنجد في الرسالة قوله عليه السلام: «**إن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبون مهتدون، وذلك يقول رسول الله** صلى الله عليه وآله: **لا تجمع أمتي على ضلالة**[1] **فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمه كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. القرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه**[2]، **فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة، لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت، وأنكرت لزمها الخروج من الملة**»[3].

نلاحظ أن هذا النص يتضمن إحالات قبلية قريبة كما في أدناه:

الضمير	المحال عليه
الهاء في (فيه)	القرآن
هم في (اجتماعهم)	أهل الفرق
الهاء في (تحقيقه)	الكتاب
ها في (كلها) و(بعضها)	الأمة
الهاء في (تنزيله) و(تصديقه)	القرآن
الهاء في (تحقيقه)	خبر

ونجد في النص السابق نفسه إحالات قبلية بعيدة حين يقع ضمير الإحالة في جملة غير جملة المحال عليه، ومثال ذلك:

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٧، ص٢٢١.

(٢) الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على المجبرة دراسة وتحليل (الحلقة الأولى) مجلة تراث سامراء، العدد الثالث، ص٣٤-٣٥.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٣٧.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الضمير	المحال عليه
واو الجماعة في (مصيبون) و(مهتدون)	أهل الفرق
الضمير المستتر في (أخبر)	رسول الله
الهاء في (به)	خبر
الضمائر في (اجتمعت) (جحدت) (أنكرت)	طائفة
الضمير (ها) في (لزمها)	طائفة

أما الإحالة القبلية بأسماء الإشارة والموصولات فقد جاءت بنحو أقل مما ورد في الضمائر، ففي النص: «**فأمرهم ونهاهم وبذلك نطق كتابه**»(١)، نجد اسم الإشارة (ذلك) يعود قبليا على الأمر والنهي، ونجد كذلك «**أما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطّأ من دان به، وتقلده فهو قول القائل: إنّ الله جلّ ذكره فوّض إلى العباد اختيار أمره، ونهيه، وأهملهم. وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقّته، وإلى هذا ذهبت الأئمة المهتدية من عترة الرسول صلى الله عليه وآله**»(٢)، فالاسم الموصول (الذي) يعود على (التفويض)، وهو إحالة قبلية قريبة، ونجد تلك الإحالة في النص في اسم الإشارة (هذا) الذي تكرر مرتين، ونجده يحيل قبليا إلى تفويض الله سبحانه لعباده في اختيار أمره، ونهيه. ومثل ذلك نجد قوله عليه السلام: «**ولمّا التمسنا تحقيق ما قاله الصّادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين، وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدّق مقالته في هذا وخبر عنه أيضاً موافق لهذا**»(٣) إذ أحال اسم الإشارة (هذا) مرتين على موقف الإمام الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين، وإنكاره الجبر، والتفويض، وهي إحالة قبلية بعيدة.

ومن الملاحظ أن الرسالة تطغى عليها صفة أسلوبية مائزة في استعمال اسم الإشارة (ذلك)، إذ إنه عليه السلام كلما أراد أن يُسند حجته بالقرآن الكريم أو قول الرسول صلى الله عليه وآله، أو أحد آل البيت فإنه يستعمل اسم الإشارة (ذلك)، فيحيل المتلقي إحالة نصية قبلية، ومثال ذلك قوله عليه السلام: «**فأخبر الصّادق عليه السلام بأصل ما يجب على النّاس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه، فشهد بذلك محكمات**

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٤١.

(٢) للمزيد ينظر: جلاب، قاسم كاظم، دور الإمام علي الهادي عليه السلام في صيانة العقيدة رسالة في الجبر والتفويض مثالاً، المؤتمر العلمي الرابع للعتبة الكاظمية المقدسة، ج٣، ص٥٩.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٣٩.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

آيات رسوله»[١]، فاسم الإشارة (ذلك) قد أحال المتلقي على ما أخبر به الصادق عليه السلام. ويتكرر أسلوب الإحالة نفسة في الرسالة مرات عدة، إذ نجد في موضع آخر: «**إنّ الله جلّ وعزّ جازى العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة الّتي ملّكهم إيّاها، فأمَرهم ونهاهم، وبذلك نطق كتابه**»[٢]، وكذلك قوله عليه السلام:«**وهذا القول بين القولين ليس بجبرٍ ولا تفويضٍ، وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعيّ الأسدي**»[٣]، إذ يحيل اسم الإشارة (ذلك) إحالةً قبلية على جملة أو أكثر، وهو الأمر الذي نجده يتكرر في النص الآتي: «**إنّ الصّادق عليه السلام سئل هل أجبرَ الله العباد على المعاصي ؟ فقال الصّادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك، فقيل له: فهل فوّض إليهم ؟ فقال عليه السلام هو أعز وأقهر لهم من ذلك**»[٤]، والملاحظ أن اسم الإشارة (ذلك) قد جاء في نهاية الجملة مرتين، وهو بذلك يحيل على سابق له؛ ففي الأولى أحال على جملة (هل أجبر الله العباد على المعاصي) [٥]، وفي الثانية أحال على جملة (فهل فوّض إليهم؟) كي يتجنب تكرار الجملة الذي سيكون مُخلاً باتساق النص وتماسكه .

ب ـ الإحالة النصية البعدية (الإحالة على لاحق).

جاءت الإحالة البعدية على نحو أقل من سابقاتها فهي دائماً تحيل على ما لم يذكر بعد في داخل النص؛ لذا فهي تثير التشويق، وتسهم في إثارة انتباه المتلقي وشده لمعرفة الآتي.

وفي رسالته عليه السلام نستطيع تلمس فقرات عدة تظهر فيها الإحالة البعدية؛ ففي صدر الرسالة نجد جملة: «**فإنه ورد عليّ كتابكم وفهمتُ ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم**»[٦]، في هذا النص إحالة بعدية بضمير الشأن المتصل (فإنه)، فالمحال عليه هو ورود الكتاب إلى الإمام، وفهمه لما ذكروا له، ومثل ذلك نجد إحالات بعدية بالضمائر كقوله عليه السلام: «**وأمّا المولى فهو الله جلَّ وعزَّ، وامّا العبد فهو**

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤١.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٤٤ .

(٤) للمزيد ينظر: الغرابي، حميد جاسم عبود، المضامين المعرفية في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض وأثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، ج٣، ص٣٩٣.

(٥) الصدوق، التوحيد، ج٨، ص١٥٩ .

(٦) الحراني، تحف العقول، ص٣٣٧.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

ابن آدم المخلوق»[١]، إذ أحال الضمير في النص السابق إحالة بعدية قريبة، مرةً على لفظ الجلالة وأخرى على ابن آدم.

وفي قوله: «**وأمّا وعده، فالنعيمُ الدائم وهي الجنة، وأمّا الدّار الفاتنة فهي الدنيا، وأمّا الدار الأخرى فهي الدّار الباقية وهي الآخرة**»[٢] تتكرر الإحالة البعدية، فقد أحال عليه السلام الضمير(هي) على (الجنة، الدنيا، الدار الباقية، الآخرة) على التوالي، وفي كل ما تقدم من إحالات بعدية بالضمائر نجد أن عنصر التشويق حاضر لشد المتلقي وجلب انتباهه.

وتكررت الإحالات النصية البعدية بـ(تاء التأنيث) على نحو قليل في رسالته عليه السلام في بعض المواضع، مثل: «**وكثرة ما جاءت به الأخبار**»[٣]، أو «**وقد اجتمعت الامة قاطبة**»[٤]، أو «**وروت العامة في ذلك**»[٥]، إذ احالت تاء التأنيث إحالة بعدية قريبة على (الأخبار، والأمة، والعامة) على التوالي.

وفي مواضع أخرى جاءت الإحالة النصية البعدية باسم الإشارة مثل: «**صدق الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد ... فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً ...ووجدنا نظير هذه الآية**»[٦]، أو «**مع آي كثيرة في هذا الفن**»[٧]، أو «**وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض**»[٨] فأحال اسم الإشارة في الجمل السابقة إحالة قريبة لما بعده (الشواهد، الأخبار، الآية، الفن، القول) على التوالي.

أما الإحالة بالمقارنة فقد كان ورودها قليلاً بألفاظ التشابه حين كان عليه السلام يضرب مثلاً للمقارنة والمقاربة فكان يقول: (مثل قوله تعالى)، أو (مثل قول الرسول صلى الله عليه وآله)، أو (مثل ذلك) أو (مثل رجل ملك عبداً)، وهي كلها ألفاظ تحيل على القول الذي بعدها[٤].

---

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٧.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٧، ص٢٢١-٢٢٣.

(٥) ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ص٦٧.

(٦) ينظر: سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٣٠٣.

(٧) الحراني، تحف العقول، ص٣٤١.

(٨) ينظر: الكليني، الكافي، ج١، ص١٦٣.

(٤) ينظر: الغرابي، حميد جاسم، المصدر السابق، ص٣٩٦.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

الخاتمة

كانت رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام، في الرد على القائلين بالجبر والتفويض نصاً حجاجياً بليغاً، استعمل فيه عليه السلام العديد من الوسائل التي تسهم في اتساق النص، وترسخ المفاهيم والمعاني التي أراد عليه السلام إيصالها عن طريق الرسالة، وتوصل البحث إلى بعض النتائج وهي:

١- الإحالة في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام، كانت عنصراً فاعلاً في اتساق النص وتماسكه، وفي اتساع المعنى ورسوخه.

٢- استعان عليه السلام بالقرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام، في إثبات حججه الواردة في الرسالة بعد أن أثبت أنهم ينهلون من معين واحد.

٣- كانت الإحالة بالاسم الموصول (ما) الدال على غير العاقل أكثر استعمالاً من الإحالة بالاسم الموصول (مَن) الدال على العاقل.

٤- اعتمدت الرسالة بكثرة على الإحالة بالضمير، وكان لذلك الأثر الأهم في ربط النص واتساقه عن طريق الإحالات المتنوعة سواء أكانت مقامية أم نصية، قبلية أم بعدية.

٥- أسهمت الإحالة بالمقارنة في إظهار المعنى، وإزاحة الغموض عن طريق التشبيه والتمثيل.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر العربية :

١. بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢. براون، ج. ب . بول، ج، تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطني، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

٣. بن قري، أسماء جمالية الإحالة وآلياتها في تحقيق تماسك النص واتساقه- مقاربة تطبيقية لنماذج مختارة، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، مجلد٢، العدد ٤، الجزائر، جوان ٢٠١٩ م.

٤. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٧، بيروت، ٢٠٠٢م.

٥. حماسة، محمد، الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، دار غريب للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.

٦. خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩١م.

٧. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والاجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٨. الزناد، الأزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٣

٩. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، ط١، عمان، ٢٠٠٠م.

١٠. الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، ج١، ط١، تونس، ٢٠٠١م.

١١. عفيفي، محمد، نحو النص – اتجاه جديد في الدرس النحوي-، مكتبة زهراء الشرق، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٢. لاينز، جون، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة جامعة البصرة، ط١، البصرة، ١٩٨٠م.

١٣. المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.

١٤. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، مطبعة حيدري، طهران، ١٣٦٣ هـ ش.

١٥. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد وعبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٢.

١٦. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، منشورات الشريف الرضي، بغداد، ١٩٦٦.

١٧. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسني، نشر جماعة المدرسين، إيران، قم، ١٣٨٧هـ.

١٨. الغرابي، حميد جاسم عبود، المضامين المعرفية في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض وأثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، ج٣، ص٣٩٣.

١٩. جلاب، قاسم كاظم، دور الإمام علي الهادي عليه السلام في صيانة العقيدة رسالة في الجبر والتفويض مثالاً، المؤتمر العلمي الرابع للعتبة الكاظمية المقدسة، ج٣، ص٥٩.

٢٠. الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على المجبرة دراسة وتحليل (الحلقة الأولى) مجلة تراث سامراء، العدد الثالث.

٢١. الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الاهواز (الحلقة الثالثة: في التفويض) مجلة تراث سامراء، العدد الخامس .

٢٢. الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الاهواز (الحلقة الثانية: في الجبر) مجلة تراث سامراء، العدد الرابع .

٢٤. الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حققه حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، بيروت.

المصادر الأجنبية

25. Cohesion in English، Ruqaiya hasan، M.A.K. Halliday، Routledge، New York، 2013.